الفصل الرابع

الفئات المدينية الدنيا: فلاحو الحضر نموذجا

أولا: من هم الفلاحون؟

ثانيا: الفلاحون: نحو تعريف نظامي

ثالثا: تحديد النظام الفلاحي للانتاج في المدينة

الفصل الرابع

الفئات المدينية الدنيا: فلاحو الحضر نموذجا

حاول عدد من دارسي المدينة الإفادة من التراث الذي كتب حولها في صوغ أطر محددة تلائم دراسة واقعها المتغير باستمرار من جهة، وتوجيه مختلف الدراسات الأمبريقية سواء لحل مشكلات معينة، أو لاختبار قضايا نظرية من جهة أخرى. ولعل أول ما يمكن أن يقال في هذا السياق هو افتقاد تعريف محدد وشامل لظاهرة الفلاحين في المدينة، مما أثار في بعض الأحيان نوعا من البلبلة والغموض.

ويعد ماك جي Mc Gee من أبرز من أسهموا في توضيح هذا المفهوم، حينما حاول صياغة إطار نظري بسيط لدراسة الفلاحين في مدن البلدان النامية، مستعينا ببعض الأفكار التي تضمنتها مختلف الثنائيات الاجتماعية. ولقد عرض إطاره هذا في العديد من المقالات والأبحاث الإمبريقية. وأول ما يمكن تسجيله في هذا المجال ما ذهب إليه ماك جي Mc Gee في دراسته: "الفلاحون في المدينة"* من أن التعاريف

---

* استند النقاش في الجزء الأول من هذه الدراسة إلى الأراء و التصورات التي طرحها ماك جي Mc Gee و ترجمتها عن دراسته التي نشرها في العدد الثاني (1973) من مجلة

التي تركز على الخلفية الثقافية تنطوي على كثير من الأحكـــام القيميـــة. وهنا نجده يطرح تصورا بديلا ينظر إلى الفلاحين على أنهم جزء مـــن نظام فلاحي للإنتاج يتميز بعدد من الخصائص التي تميزه عن نظـــامي الإنتاج الرأسمالي والاشتراكي.

وعلى الرغم من ارتباط العديد من المشكلات المنهجية باستعمالات هذا المفهوم، إلا أنه قد أتاح لنا قدرا ملحوظا من الحريـــة فـــي تحليـــل وتفسير ظاهرة الفلاحين في المدينة، ولقد كان أحد نتائج اســـتخدام هـــذا المفهوم في الدراسات الإمبريقية النفاذ إلى قلب الواقع الحضري لتفســـير أبعاده تفسيرا عميقا لا يقوم على تسليم مسبق لأنماط ســـلوك الفلاحيـــن وردود أفعالهم تجاه التغيير الاجتماعي. فضلا عن طرحه إمكانية القيـــاس وتجنب الغموض الذي يكتنف تعاريف الثنائيات الاجتماعية.

على أن مينتز MINTZ قدم هو الآخر حكما خاصا بفعالية النظـــام الفلاحي، حيث منح أهمية كبيرة للدور الذي يلعبه في امتصاص معـــدلات العمل المتسارعة في مدن البلدان النامية التي تشهد نموا حضريا مذهلا.

وبالرغم أن مفهوم "النظام الفلاحي" يعد مفهوما محوريا في نظـــر كل من مينتز MINTZ وماك جي Mc Gee، فإن هذا الأخير يقر بإمكانية

تحـــت عنـــوان ORGANISATION HUMAN PEASANTO IN THE CITIES : PARADOX, A PARADOX, A MOST INGENIOUS PARADOX

حل معضلة المفاهيم عن طريق تجنب استخدام مفهوم الفلاحين في المدن والنظر إليهم كأفراد يعيشون ويساهمون في نظامها الفلاحي: إنهم جزء لا يتجزأ من الفئات المدينية الدنيا. بيد أن هناك العديد من الشواهد الأخرى التي تؤكد الأصول الريفية لأغلبية فئات المجتمع الحضري. غير أننا لا نستطيع التسليم تماما بهذه القضية، على الرغم من أنها لا تخلو من الصدق. إذ الملاحظ أن القيم التقليدية لا تلعب دورا واحدا في كل مدن البلدان النامية. وبدون الدخول في مناقشات تفصيلية حول الريفية والحضرية، فإننا نستطيع الوصول إلى نتيجة أساسية، هي أن القيم التقليدية ما تزال تمارس تأثيرا هاما على سكان مدن البلدان النامية. ويبدو أن أغلب هؤلاء السكان قد عاشوا حالة الصراع بين ثقافتين متباينتين. فمنهم من تخلوا تماما عن ثقافتهم الريفية، ومنهم من يعيشون في المدينة بأجسامهم، بينما يعتمدون عن ثقافة القرية في سلوكهم ومعتقداتهم. ولقد دفعت كل هذه الاعتبارات بعض الباحثين إلى القول بضرورة تجنب النظرة البنائية الاستاتيكية للعناصر الثقافية الريفية في مجتمع حضري، إذ أنها تخضع للتغير والتعديل دون أن تفقد في بعض الأحيان أسسها ودعائمها. ولا نستطيع أن نغفل هنا الإشارة إلى ظهور مدرستين أساسيتين: ترى الأولى(التنظيمية) أن وصف الفرد بالحضرية أو الريفية يتوقف على طبيعة السلوك الصادر عنه، في حين تسلم المدرسة الثانية(الإيكولوجية) بأن هذا الوصف يتوقف على عدد سكان

المنطقة التي يعيش فيها الفرد على اعتبار أن المدرسة الإيكولوجية تميل إلى معالجة التغيرات التي تطرأ على التنظيم الاجتماعي بوصفها نتيجة للتغيرات التي تطرأ على الحجم (الحسيني: 1980، 115).

ومن هنا تبدو الأهمية التي تعيرها الكثير من النظريات لمسألة التريف، الهجرة والتكيف، الفروق الريفية الحضرية، المقابلة بين نوعين متباينين من المجتمعات، المتصل الريفي، الحضري...الخ. ومع ذلك كله -كما يعتقد الحسيني- فإن المدينة تميل في نهاية الأمر إلى التعبير عن ثقافة حضرية عامة تتجاوز كل الثقافات الفرعية التي تعبر عن الجماعات المختلفة. وضمن هذا المسعى سنكتفي هنا باستعراض ومناقشة إحدى الثقافات الفرعية في المدينة، وذلك بالاعتماد على تصورات ماك جي Mc Gee الواردة في دراسته -الموسومة: " الفلاحون في المدينة...".

وبغض النظر عن التحولات السريعة التي تعتري الأبنية الحضرية، فإن تصورات ماك جي Mc Gee ما تزال تحتل أهمية بالغة في الدراسات الحضرية. ولا يعود ذلك إلى صدق هذه التصورات بقدر ما يعود إلى ارتباطها بحياة الكثير من مدن البلدان النامية التي تتداخل فيها الحياة الريفية والحضرية. ولم أتوقف عند حدود طروحات ماك جي Mc Gee ، بل حاولت إعطاء صورة مختصرة عن التطورات التي اعترت الأنساق النظرية المعنية بالفئات الدنيا بما في ذلك فلاحي الحضر.

أولا: من هم الفلاحون؟

إن أي استعراض للتراث الغزير الذي كتب حول مفهوم الفلاحين يترك لدى القارئ انطباعا قويا يتمثل في وجود اختلاف كبير حول "من هم الفلاحون"* و تقارب كبير في أنهم "أفراد ريفيون". ولعل ردفيلد Redfield هو أحسن من لخص هذه الفكرة على النحو التالي: " الفلاح هو فرد ريفي أولى نظامه الحياتي القديم أهمية كبيرة للمدينة" (ردفيلد Redfield 31:1966). ويتخذ ولف wolf موقفا مشابها إلى حد كبير عندما يقول" لقد تكلمنا عن الفلاحين كمزارعين ريفيين أو أنهم يرعون الأرض و يربون الماشية في الريف، ويسعون إلى الإنتاج من أجل الربح، أما فائض إنتاجه فيتحول إلى الأسواق الحضرية...." (ولف wolf 2:1966). ومن السهل استخلاص نتائج مشابهة من كتابات بعض الباحثين حول موضوع الفلاحين.

ولعل ما قدمه مانجين MANGIN في كتابه: " الفلاحون في المدينة...."هو التحدي الواضح للتفسير التقليدي للفلاحين كأفراد ريفيين، وبالتالي فإن التناقض المتعلق بالقضية المطروحة حول "ريفية الفلاحين" يتجلى في كيفية تحضرهم يتضح من مقدمة مانجين MANGIN، أن

---

* لقد شارك الفلاحون في القرن العشرين في الحركات الاجتماعية و السياسية، كما وقعت انتفاضات فلاحية وحدثت مشاركة فعالة في الحركات الوطنية في بلدان العالم الثالث.

الفلاحين في المدن، هم أفراد ريفيون انتقلوا إليها حاملين معهم "طرق حياتهم" التي تستمر معهم وتوجههم في مختلف مناحي الحياة.

ولقد جسد هذا الموقف حينما قال: طالما أن كل تعاريف الفلاحين تتضمن الإتصال بالمدن، فإننا نستطيع القول بأن الفلاحين كانوا يأتون إلى المدن. فمنذ قرون عديدة وسكان الأرياف يزورون المدن ويقيمون فيها، يحتفظون بالعديد من أنماط السلوك ويغيرون أخرى. (مانجين MANGIN، 1970).

فبدون استخدام تصور ردفيلد Redfield لمتصل "الفولك-حضري" وبدون الأخذ بعين الاعتبار أهمية خصائص سكان الأحياء المتخلفة، يعتقد مانجين أن غالبية الفلاحين في المدن يحملون معهم الكثير من ثقافتهم الريفية و ينقلون بعضها إلى أطفالهم. ففي الولايات المتحدة يعتبر الكثير من سكانها من الجيل الثاني أو الثالث للفلاحين (مانجين MANGIN: 1970، 19-20).

وبرغم النقاط الهامة التي تضمنها الإطار الذي قدمه مانجين MANGIN ؛ إلا أنه ينطوي على تأكيد مبالغ فيه "للخلفية الثقافية"، ولا يضيف شيئا جديدا للتراث المتداول حول المتصل الريفي-الحضري. فالأفراد ينتقلون من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية حاملين معهم عاداتهم وأنماط سلوكهم التي تعلموها في بيئتهم الأصلية، وكما يعتقد مانجين MANGIN فإنهم من غير المحتمل أن يتخلصوا من هذه المكونات

الثقافية فور وصولهم إلى المدينة، بيد أنهم يغيرونـــها و يكيفونـــها بعـــد الإقامة في المناطق الحضرية. ليس هذا جوهر اختلاف ماك جـــي Mc Gee مع مانجين MANGIN، لكنه يعتقد أنه قدم تفسيرا "مدرجـــا" لوجـــود الفلاحين في المدينة عن طريق استخدامه لمفهوم استمرار الثقافة الريفيـــة كإطار مرجعي للتفسير. وفي قيامه بهذا العمل، نلاحـــظ تـــأثره الشـــديد بمحتوى النقد الموجه لمدخل ردفيلد-تونيز REDFIELI-TONIZ (إطـــاره التصوري ما هو إلا صورة لهذا النقد). فلقد خصص جزءا كبـــيرا مـــن مقدمة دراسته لنقد مفاهيم "محدودية السلعة" و" ثقافة الفقر"، وهي مفـــاهيم الفقراء والفلاحين التي تركز على قلة حراكهم ومقاومتهم للتغيير. ولقـــد ذهب مانجين إلى أن الحقائق المتزايدة تشير إلى عدم استمرار هذه الحالة في كل من الريف والمدينة (في أمريكا اللاتينية على الأقل)، لذلك نجـــده يقول: "عندما يهاجر سكان الريف إلى المدن، فإن نمط التطلع المحـــدود السائد في المجتمع المغلق لن يستمر أكثر من جيـــل (مـــانجين MANGIN 28:1970). وهكذا يبدو واضحا أن هذه الفكرة تناقض ولو جزئيا، فكرته السابقة.

ورغم أهمية هذه المناقشة " لسلوك الفلاحين " فإنها لا تقدم ســـوى إسهاما بسيطا لتعريف " الفلاحين الحضريين"، ذلك لأنها كشفت عـــن أن سلوك الفلاحين يختلف اختلافا ضئيلا بين الريف والمدينـــة. لـــذا فمـــن الصعب جدا فهم الأسباب والدوافع التي جعلت مانجين MANGİN يســـتخدم

مفهوم " الثقافة الريفية". وأول ما يمكن تسجيله في هذا المجال هو أنه لا يستطيع تجنب تعريفات " الخاصية الريفية "للفلاحين في حالة ما إذا عرف الفلاح على أساس مكان الإقامة ومختلف الخصائص التي يفترض أنها تشكل جزءا من البيئة الريفية..كيف يستطيع الفلاحون الاستمرار في المدينة؟... من الطبيعي أن يبقوا فلاحين في حالة إذا ما احتفظوا بالثقافة الريفية.

ولعل الحالة الأكثر وضوحا والأدق تعبيرا للإبقاء على مفهوم "الفلاحين الحضريين"* هي الانتشار الواسع للهجرة في أجزاء عديدة من العالم، أينما الحصول على الأجر كما يقول ماير MAYER هو جزء لا يتجزأ من..حياة الفلاح (ماير MAYER) . ولسنا هنا في وضع يسمح بانتقاد القضايا التي طرحها ماير MAYER حول الفكرة القائلة بأن المهاجرين الذين ينتقلون من مكان لآخر قد ينظرون إلى عملية اكتساب الأجور في المراكز الحضرية كجزء من حياتهم الفلاحية، لكن النقطة الأساسية التي تثير النقاش هي من غير ريب تتعلق بوضعهم عند الإقامة في المدينة، فإذا كانوا عمالا أجراء في المصانع، فإنه من دون شك

---

* في الوقت الذي قد توجد فيه هوة واسعة بين القروي ذي الثقافة البسيطة و المتحضر ذي الثقافة المعقدة، فإنه لا يوجد دليل على أن المهاجر ينتقل بالضرورة من قطب إلى القطب المقابل.

يشكلون جزءا من البروليتاريا الحضرية، وليس الريفية، أما إذا كانوا يعملون في المزارع(للحصول على أجر)، فهم يشكلون بطبيعة الحال بروليتاريا ريفية. بيد أن استمرارية الهجرة الدورية لمدة طويلة يطرح بعض المسائل الهامة المتعلقة بطبيعة البناء الطبقي الذي قد ينشأ في هذه المجتمعات.

هذه إحدى الميادين البحثية التي أثارها مانجين MANGIN. وبالنظر إلى تزايد عدد دراسات وبحوث الأنثروبولوجيا الحضرية خاصة حول مدن العالم الثالث، يعتقد ماك جي أنه من الضروري وضع مفهوم مانجين MANGIN "الفلاحين الحضريين" على محك الواقع خشية أن يستعيد تأثيره السابق ويرسم مكانته في تراث العلوم الاجتماعية إن هذا التخوف لا يتماشى مع تصنيف ورسلي WORSLEY للمهن الحضرية الدنيا (الفقراء الذين يعملون في صناعة السلع، عمال الورشات المعرقة؛ بيع الإنتاج المنزلي الحرفيون المستخدمون ذاتيا؛ الباعة المتجولون؛ عمال الأجر العرضيون والحمالون وغاسلو السيارات؛ جامعو القانورات؛ المجرمون وأصحاب المهن المنحرفة الأخرى؛ الشحاذون والعاطلون عن العمل) التي ترتبط في مجملها بالمهاجرين والفئات القابعة في قاع المدينة. وبدون الدخول في تفاصيل هذه المهن التي تصنف حديثا تحت مفهوم القطاع الحضري غير الرسمي، يشير ورسلي WORSLEY إلى أن المشاريع المنزلية التي تستخدم عمل العائلة (مثلا) تسمى أحيانا بتحضر

الكفاف أو الفلاحين الحضريين، وذلك تماشيا مع نموذج شيانوف SHAYANOV الذي ينظر للأسرة الفلاحية كوحدة اقتصادية مستغلة ذاتيا. وهنا نجد ورسلي WORSLEY يؤكد أن الفلاحين الحضريين يعبئون عادة روابط القرابة والعرق وغيرها في الحصول على بعض ما يريدونه. إنهم ينتجون ويبيعون معا. وفي هذه الحالة يفضل ورسلي WORSLEY وصف الفئات التي تملك وسائل إنتاج بسيطة (عربة مثلا)؛ الفلاحين الحضريين بدلا من رأسمالي "الفلس" أو الرأسمالية الرثة، لأنهم يملكون مقادير قليلة جدا من المال والبضاعة.

وإذا كان هؤلاء الباحثون يضعون مقاييس محددة لدراسة فلاحي الحضر، فإن بعض المتخصصين يصفون سكان مدن البلدان النامية بالريفية المتأصلة فيهم رغم إقامتهم بالمدينة لمدة طويلة واستخدامهم لوسائل متطورة. ولم يخف بعضهم ذلك الارتباط القوي بين هؤلاء السكان وثقافة الفقر وخاصة سكان الأحياء المتخلفة.

وإذا كنا نلمس في الوقت الحاضر اتجاهات نظرية متعددة ومتصارعة في دراسة السلوك الحضري والريفي في المدينة، فسنحاول في بقية هذه الدراسة تكملة ما أثاره ماك جي Mc Gee حول فلاحي المدينة.

ثانيا: – الفلاحون : نحو تعريف نظامي.

تميل الدراسات المعنية بالفلاحين إلى تأكيد حقيقة أساسية هي وجود تباعد في الاتفاق حول شمولية تعريف " ثقافة الفلاحين " وتقارب كبير حول المظاهر الاقتصادية لحياة الفلاح، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الناجمة عن ما وصفه ولف WOLF بمختلف الأنماط البيئية، فالدارس لأعمال ولف WOLF (1966) ناش NASH (1966) و فيرث FIRTH (1946) يتوصل إلى أن هناك اتفاقا عاما حول المظاهر الاقتصادية للنمط الفلاحي الريفي. بيد أن تطوير تعريف اقتصادي للفلاحين في المدن يتطلب النظر إليهم في سياق نظام إنتاجي يختلف عن كل من الاشتراكية والرأسمالية. ويعتبر شايانوف SHAINOV من أوائل الباحثين الذين سلموا بأهمية هذه النظرية في العشرينات، وكذا فرانكلين FRANKLIN الذي توصل إلى نفس النتيجة في الستينات، على أن أخطر ما قدمه هذا الأخير هو تحديده في مفاهيم لثلاثة أنظمة رئيسية للإنتاج: فلاحي، رأسمالي، اشتراكي.

إن عملية العمل هي المميز الأساسي للمؤسسة. ففي الاقتصاد الفلاحي يستخدم المنظم كل العمل المتوفر من عمل أفراد الأسرة الذين قد يجدون عملا بديلا أو تشغيلا إضافيا، هذا ما يفسر تنوعات المجتمعات الفلاحية التاريخية، أما في حالة عدم توفر هذه المصادر فإن صاحب المؤسسة يستخدم أقرباءه...ففي النظامين الرأسمالي والاشتراكي يصبح

العامل سلعة، يؤخذ ويطرد من لدن المؤسسة، وفقا للتغيرات في مستوى المنظمة، درجة الميكنة، مستوى طلب السوق للمنتوجات. ولهذا السبب على الخصوص لإدخال الميكنة ونظام المصنع أهمية قليلة -قام النظام الرأسمالي للإنتاج بتشويه وتمزيق المجتمعات التقليدية، وإدخال مقاييس غير معروفة لتقييم الفرد (فرانكلين FRANKLIN، 1965:148-149).

ولا شك أن ميزة مثل هذا التقسيم لأنظمة الإنتاج ينطوي على فوائد محققة في دراسة الفلاحين، ذلك لأنه كشف عن أن أغلبية المؤسسات الفلاحية قد تكون مزارع عائلية، كما أنه لم يستبعد وجود المؤسسات الفلاحية مثل الصناعة المنظمة عائليا أو البيع بالتجزئة في المدن. وهذا ما يعنيه فرانكلين FRANKLIN حين يقول: "يتجاهل الإطار التصوري التقسيم الزراعي-الصناعي، فعلى هذا المستوى من التعميم نجد هذا التقسيم ينطوي على أهمية قليلة، فالزراعة قد تتدرج ضمن الأنظمة الثلاث للإنتاج، وكذلك الصناعة، وباعتراف الجميع، فإن الزراعة هي النشاط المسيطر في المجتمعات الفلاحية - الشعبية - التقليدية، آخذين بعين الإعتبار احتمال ظهور نظام رأسمالي للإنتاج يهتم بالأنظمة لا بالمجتمعات (فرانكلين FRANKLIN، 1965:148).

ولقد أولى فرانكلين FRANKLIN مظاهر النظام الفلاحي للإنتاج أهمية خاصة بحيث جاءت الحقائق التي طرحها في هذا الصدد مقنعة. بيد أن قصره لمفهوم المؤسسة الفلاحية على الوحدة العائلية لا ينطوي

على فوائد كثيرة، لذا يعتقد ماك جي أنه من الممكن إيجاد مؤسسات اجتماعية أخرى (الجماعات العمومية، الجماعات القروية والقبلية) تسير كوحدات للإنتاج وتستخدم "إجمالي" العمل(بوها نان BOHANNAN 1955). ولقد كشفت الدراسات التي أجريت على المصانع اليابانية -الصغيرة- أن بعض المؤسسات تؤجر العمل وفقا للنظام الرأسمالي ولا تلجأ إلى طردهم في بعض الأحيان عندما يتصرفون على نحو عقلاني (ابجلين ABEGGLEN 1958). وهكذا يبدو واضحا أن التعريف النظامي للنسق الفلاحي لا يستبعد مفهوم "الثقافة" وبالفعل، فإن الانطباع الشائع بأن صاحب المؤسسة يستخدم "إجمالي" العمل المتوفر في العائلة يفترض "المواقف الثقافية". ولا يدل تعريف الفلاحين* هذا على أنهم سيتبنون أو يقاومون التغير بحكم وضعهم الاجتماعي. فالبيانات المتاحة لدينا (ماك جي) تشير إلى أن الفلاحين قد يتصرفون مثل الرأسماليين، لكن من الصعب جدا بالنسبة للرأسمالي أن يتصرف مثل الفلاحين، ومع ذلك الميزة الأساسية لمثل هذا التصور إمكانية تعريف وقياس أنشطة الفلاحين في المدينة. هذه إحدى المتطلبات الأساسية لدراسة المظاهر السلوكية للفلاحين.

---

* يرى فوستر FOSTER أن نظرة الفلاح للعالم تختلف كثيرا عن نظرة بقية أفراد المجتمع. فهوفرد محافظ يقاوم التغير و لا يستغل الفرص الاجتماعية والاقتصادية الجديدة.

ثالثا:-تحديد النظام الفلاحي للإنتاج في المدينة

إن تطبيق التصور المفاهيمي الفرانكليني لدراسة مدن العالم الثالث يتطلب فهم بنائها الاقتصادي. وفي هذا السياق يعتبر النموذج الأكثر استخداما هو النموذج الذي ينظر إليها في ضوء تعايش نظامين إنتاجيين مختلفين-أحدهما مشتق من الأشكال الرأسمالية للإنتاج، والآخر من النظام الفلاحي الإنتاجي. ولقد جسد جيرتز GEERTZ هذا الموقف عندما ميز بين نمطين من الإنتاج: اقتصاد البازار، واقتصاد المؤسسة المتمركزة، وذلك من خلال الدراسة الإمبرقية التي أجراها في الخمسينات لمدينة مود جوكيطو MODJOKUTO بأندونيسيا. يشبه هذا التصور نموذج الثنائية التكنولوجية، التي وضعها هيجنس HIGGINS (1956) ، والثنائية الاجتماعية التي صاغها بوك BOEKE (1953). ويختلف هذا النموذج في تركيزه على نظامين للإنتاج باعتبارهما أنظمة فرعية تترابط مع بعضها بعضا في علاقات ديناميكية إرتدادية التأثير. ويتخذ سانتوس SANTOS موقفا مختلفا عن سابقيه. فقد ذهب إلى أنه يمكن وصف النظامين الفرعيين وصفا دقيقا إذا استعمل مفهوم CIRCUIT لوصف العلاقات الداخلية لمختلف الأنظمة الفرعية التي هي جزء من

البناء الاقتصادي المعقد للمدينة. و لقد قدم سانتوس SANTOS تفرقة بين نوعين من الأنظمة: الأول، أطلق عليه "النسق العلوي" والثاني "النسق السفلي" UPPER AND LOWER CIRCUITS. يشمل النظام الأول على الأنشطة الاقتصادية التالية: النشاط المصرفي، التجارة الخارجية الصناعة والخدمات الحديثة، البيع بالجملة، وبعض أشكال النقل (الملاحة، النقل الجوي). أما النوع الثاني فيتضمن الصناعة ذات الرأس المال غير الكثيف،الخدمات، التجارة. وبطبيعة الحال، توجد أنواع من الأنشطة الوسيطة التي لا تقلل من أهمية نموذج النظامين. وبالإضافة إلى هذه التفرقة بين أنشطة النظامين الاقتصاديين، فإنه من الممكن أيضا التمييز بين أفراد كل نسق رغم أن بعضهم قد يبيع مؤقتا عمله للقطاع الآخر، لكن لوحظ في هونغ كونغ HONG KONG أن الباعة المتجولين لا يرغبون في العمل " الدوري" بالمصانع للحصول على دخل إضافي. والجدول التالي يبين الخصائص الأساسية لهذين النظامين:

الخصائص	النسق العلوي UPPER CIRCUIT	النسق السفلي LOWER CIRCUIT
التكنولوجيا	الرأس المال الكثيف	العمل الكثيف
التنظيم	بيروقراطي	منظم عائليا
رأس المال	متوفر	قليل
ساعات العمل	منتظمة	غير منتظمة
الأجور المنتظمة	عادية(نظامية)	غير مطلوبة

المخزون	كميات كبيرة و/أو نوعية عالية	كميات قليلة
الأسعار	محددة	غير محددة
التسليف	البنوك و المؤسسات الأخرى	يعتمد على العلاقات الشخصية
العلاقة مع الزبائن	لا شخصية أو من خلال الوثائق	مباشرة، شخصية
التكاليف الثابتة	مهمة	لا أهمية لها
الدعاية	ضرورية	غير ضرورية
مساعدة الدولة	مهمة	غير مهمة
التبعية المباشرة	كبيرة، نشاط موجه	تبعية لا تكاد تذكر
للدولة الأجنبية	نحو الخارج	أو لا توجد إطلاقا

هذه الخصائص هي بكل وضوح مبسطة جدا، لكنها تشكل داخليا تجمعا مترابطا للنشاط الاقتصادي القابل للقياس والتمييز. وهكذا يبدو واضحا أن "الفلاحين الحضريين" يندرجون ضمن الأنشطة الاقتصادية للنسق السفلي وأن تعريفهم يحدد وفقا لمساهمتهم في هذا القطاع. ولقد توصل إلى هذه النتيجة الإنتروبولوجيون، خاصة أولئك الذين يقومون بإجراء دراسات حول أنظمة التوزيع. ففي المجتمعات التي تلعب فيها المرأة دورا كبيرا في النشاط التجاري أشار مينتز (MINTZ، 1971: 247-269) في ضوء المعطيات الكثيرة التي جمعها، إلى أن النساء اللواتي تمارسن مهنة التجارة تتخذن القرارات الاقتصادية بكل حرية ودون أي ضغط من رب الأسرة. ولقد استشهد مينتز MINTZ على صدق قضيته، بمثال توضيحي كشف فيه أن النساء اللواتي يمارسن مهنة

التجارة في غرب أفريقيا... يملن لاستثمار دخولهن بغرض إتاحة الفرص لتعليم أطفالهن. وهذا لا يعني أنهن لا يحبذن الاستخدام الإجمالي لعمل الأسرة والمساهمة في ميزانيتها، بل بالأحرى يحاولن إيجاد الفرص الملائمة لأطفالهن كي يدخلوا قطاع الأجر أو النسق العلوي لاقتصاد المدينة.

فعندما يعمل عدد كبير من أعضاء الأسرة في سوق واحدة، يحدث نوع من الخلط، فغيرتز GEERTZ يشير في دراسته التي أجراها على نظام البازار في "مودجوكيطو" إلى أن عمل الأسرة بكل أفرادها في نفس السوق يؤدي إلى فتور علاقاتها بحيث يصبح كل فرد ينظر إلى الآخر نظرة "باردة" كما يفعل تقريبا إزاء أي تاجر آخر (غيرتز GEERTZ 31:1963). وهذا يدل على أن مختلف أعضاء الأسرة قد يمارسون أنشطة اقتصادية مستقلة، مع عدم استبعاد احتمال استحواذ رب الأسرة على "كل" دخول أعضائها؛ وفضلا عن ذلك، أوضح غيرتز GEERTZ أن الرجل الذي يرغب إدخال ابنه إلى نظام البازار التجاري لا يرغب دائما في تمهينه، بل يعطيه بعض السلع ليتصرف. وبالإضافة إلى ذلك أكد ديوي DEWEY في دراسته التي أجراها على (فلاحي سوق جافا) الأساس العائلي للوحدات التجارية أثناء تعرضه لمناقشة الصعوبات التي تصادف الفرد عندما يرغب في أن يصبح تاجرا. لهذا السبب، غالبا ما ينحدر التجار من العائلات ذات التجربة السوقية، ويدربون من طرف

الكبار؛ فالشخص الذي ليست لديه خبرة والمدرك للأخطار يخشى المنافسة، ويتردد في الدخول إلى النظام التجاري (ديوي DEWEY 39:1962).

ونستطيع أن نجد تأييدا لهذا الموقف في بعض الدراسات التي ركزت على الجانب الاجتماعي للوحدة التجارية. فلقد أوضح كابلان KAPLAN في دراسة السوق بالمكسيك أنه: من المهم تأكيد حقيقة أن كل البائعين في ساحة السوق يمثلون الأسر وليس المؤسسات، ومما يؤيد هذا التصور "طريقة تصرفهم" (كابلان KAPLAN 37:1965).

وهناك محاولات حديثة نسبيا سعت إلى تدعيم التصور الشائع حول الأساس الاجتماعي للتنظيم الاقتصادي. ولقد أجريت هذه المحاولات في العديد من مدن جنوب شرق آسيا أينما الجزء الكبير من قطاع التوزيع في المدينة يسيطر عليه الأجانب الصينيون. فلقد اهتم تيان TIEN (1952) بتوضيح الأساس الاجتماعي للباعة-بالتجزئة- والتشغيل في كوشينغ KUCHING مبينا في نفس الوقت أن الإرتباطات القرابية والفئوية هي العوامل الكامنة وراء التمركز في بيع سلع معينة في تقديم الخدمات وفي مختلف الصناعات. ولقد زاد سكينر SKINNER (1957) وجهة نظر تيان TIEN وضوحا حينما كشف عن شيوع نفس النمط لدى صينيي BANGKOK، موضحا أن هذه الظاهرة تميز التنظيم الاقتصادي للصينيين في جنوب شرق آسيا.

تقدم الدراسة التي أجراها ماك جي حول الباعة الجائلين في هونغ كونغ HONG KONG حقائق أخرى لتعريف الفلاحين الحضريين. ففي الميتربوليس الدينامي الذي ازداد عدد سكانه إلى 3,5 مليون في سنة 1971، حدثت تغيرات راديكالية، فتحول من اقتصاد مستقر راكد....إلى مجتمع صناعي دينامي يضاهي أكبر المراكز الحضرية الصناعية(هوبكينس 1971). و رغم هذه التغيرات الاقتصادية التي شهدتها هونغ كونغ خلال العشريتين الماضيتين، فإن نظامي الإنتاج استمرا في الوجود في مناطقها الحضرية. وبرغم شيوع هذا الانطباع وقوته، إلا أن الشواهد الإمبريقية تؤكد التغلغل والسيطرة التدريجية لأسلوب الإنتاج الرأسمالي على النظام الفلاحي الإنتاجي.... وبالتالي تساهم المصانع الكبيرة في الإنتاج الصناعي داخل المستعمرة بمعدلات جد مرتفعة، بيد أن تغلغل الرأسمالية كان أقل وضوحا في القطاعات التوزيعية لاقتصاد المدينة، وعلى الخصوص قطاع البيع بالتجزئة. إذ يضم هذا القطاع أنشطة الباعة على الرصيف الذين يبيعون المواد الغذائية والمنسوجات والملابس، ويقدمون مختلف الخدمات ذات الأهمية في حياة الإنسان الحضري.

مما لا شك فيه، أن الباعة الجائلون يشكلون جزءا من بناء هونغ كونغ الاجتماعي، فعددهم ازداد بسرعة في الخمسينات كنتيجة لارتفاع عدد اللاجئين القادمين من الصين. وبرغم الزيادة السريعة في فرص

العمل في القطاع الرأسمالي (خاصة المصانع)، فإن عددهم قد تزايد خلال الستينات، إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أن عددهم يتراوح ما بين 50.000 و 60.000 ، ثلثهم يوجد في هونغ كونغ والبقية في كاولون KOWLOON ، ومن الواضح أن الباعة الجائلين يشكلون جزءا رئيسيا من قطاع البيع بالتجزئة في هونغ كونغ، وهم يشبهون ما وصفه غيرتز GEERTZ سابقا:" الفلاحون جزء من النظام الفلاحي للإنتاج". وفي هذا السياق، تقدم الدراسة التي أجريت سنة 1969على 542 بائعا متجولا معلومات لتدعيم هذه الفكرة (ماك غي Mc Gee ،1970):

أولا: أن 88 % من وحدات الباعة الجائلين تملكها الأسر ملكية مشتركة بين الزوج والزوجة.

ثانيا: أغلب هذه الوحدات تستثمر قليلا من رأس المال، أقل من 2100 دولار، ويحصل غالبية الباعة على دخل شهري أقل من 600 دولار، ويقوم أعضاء العائلة الذين يعملون وقتا طويلا وبدون انتظام، بعملية البيع دون الحصول على أجر مستقر. أما في ما يتعلق بالسلع فإنهم يحصلون عليها من مصادر عديدة، وعندما تصبح بين أيديهم تحدد أسعارها وفقا لاتفاق البائع والمشتري، وغالبا ما يتم تحكيم البائع نفسه.

هذا، وتشير البيانات المتعلقة بخصائص الباعة الجائلين إلى وجود بعض التشابه فيما بينهم. فأكثر من 40 % يزيد عمرهم عن 40 سنة، وحوالي 61 % من عينة البحث مارسوا عملية البيع المتجول منذ ما يزيد

عن 10 سنوات، ونسبة قليلة بدأت تمارس هذه المهنة خلال الخمس سنوات الماضية، وحوالي ثلاثة أرباع العينة من الأميين أو من الذين توقفوا عن الدراسة خلال المرحلة الابتدائية (يعيش أغلبهم قريب من مكان العمل). بيد أنه حوالي 25 % من أفراد العينة مارسوا مهنا أخرى قبل أن يصيروا باعة جائلين، أغلبهم في النسق العلوي خاصة في المصانع. أما الأغلبية فكان البيع المتجول هو مهنة العمر. بعضهم ورثه، و بعضهم اتبع سبيل زملائه أو اقربائه، إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من دراسة الباعة الجائلين في هونغ كونغ هي أنهم يشكلون على حد تعبير سانتوس SANTOS، جزءا من النسق السفلي لاقتصاد المدينة، أو كما أطلق عليه (النظام الفلاحي للإنتاج). فعلى الرغم من وجود بعض الإستثناءات، فإن باعة هونغ كونغ المتجولين يمكن فهمهم أحسن كأفراد يساهمون في نظام فلاحي للإنتاج يوجد في المدينة، وهذا لا يعني بأنهم سيحتفظون دائما بصفة "فلاحي الحضر". فعندما يتوسع النظام الرأسمالي للإنتاج، يبدأ الباعة الجائلون في الإختفاء التدريجي. فانخفاض الكثافات داخل المدينة أدى بالباعة إلى اختيار أماكن بديلة. وبالإضافة إلى هذا تمارس العديد من الضغوط الحكومية لتحديد عددهم.

وأيا كان الأمر، فإن تعريف الأنظمة الفلاحية للإنتاج في القطاع الصناعي أسهل من تعريفها في قطاع التوزيع. ويمكن توضيح هذا بالرجوع إلى الهيكل الصناعي لعبدان بنيجيريا. فلقد كشف أكينولا

AKINOLA عن جانب من هذه المشكلة حين قسم الصناعة في عبدان إلى ثلاث مجموعات: الصناعة اليدوية والتقليدية، الصناعية الصغيرة الحديثة، والصناعات الضخمة. فالمجموعة الأولى، تتضمن أنشطة الغزل والنسيج والصناعات الفخارية، وتتميز بصغر حجمها، وغالبا ما يملك "الوحدة" الفرد أو العائلة، وهي تتطلب القليل من رأس المال و تتمركز تقريبا قرب مقر إقامة العامل، وتستخدم الحرف الموروثة أو الحرف التي تمارسها ذرية معينة. ما في ما يتعلق بالمجموعة الثانية، فقد لاحظ أكينولا AKINOLA ، أن الاختلاف الأساسي بينها وبين المجموعة الأولى، يتجلى في عدم استخدامه "للعمل" و"التمهين" على أساس الارتباطات الدموية فحسب. وإلى جانب هذا، تستخدم أقل من 10 عمال يحصلون على أجر محدد. وبخصوص الخدمات الصناعية مثل إصلاح السيارات فيبدو أنها تتميز ببعض أشكال التشغيل التي ترتب ابتداء من "الفلاحي" إلى "الرأسمالي" وتنتشر هذه الأنماط الصناعية عبر غالبية مدن العالم الثالث، وهذا ما تؤيده الشواهد الإمبريقية وتدعمه.

وبناء على ما تقدم يخلص ماك غي Mc Gee إلى عدد من النتائج التي نجملها على النحو التالي:

أولا: حاول وليم مانجين W.MANGIN في كتابه:" الفلاحون في المدينة " أن يقدم تعريفا لفلاحين في مجتمع المدينة في ضوء احتفاظهم بالثقافة الريفية، ولقد حاول ماك غي الإشارة إلى أن هناك طرقا أخرى

لتحديد فلاحي مدن البلدان النامية، ومن أهم هذه الطرق هي النظر إليهم كجزء من نظام فلاحي للإنتاج له سماته وخصائصه. وعلى الرغم من ارتباط العديد من المشكلات بتحديد هذا النظام، إلا أن مزاياه كثيرة وترتبط بإمكانية قياسه في السياقات الثقافية المختلفة، عدم تحديده لردود أفعال الفلاحين في مواجهة التغيير الاجتماعي، عدم تداخله مع تعاريف الثنائية الريفية الحضرية، فضلا عن طرحه إطارا ملائما لتحليل التغيير في المناطق الحضرية.

ثانيا: وفي مواجهة الانتقادات التي توجه إلى مثل هذا التصور، يعتقد ماك غي أن حل هذه المعضلة يكمن في كفنا عن استخدام مصطلح "الفلاحين" في المدينة على اعتبار أن المسألة بسيطة تتعلق بجماعات من السكان تعيش في عدد من مدن البلاد النامية وتساهم في النظام الفلاحي للإنتاج، لكن يصعب إدراجها في أي من التعريفين التقليديين " للفلاحين " و"البروليتاريا" أو " البورجوازية الصغيرة " لذا يبدو جليا أن المفهوم الذي يصور هذه الجماعة هو" شبه البروليتاريا".

تشكل هذه الفئة الاجتماعية نسبة عالية من سكان المدن، وتتزايد بوتيرة عالية بفعل الهجرة والزيادة الطبيعية، وتتناقص في بعض الأحيان نتيجة التوسع في العمالة المؤجرة أو العودة من جديد إلى العمل الزراعي وما يرتبط به من أنشطة، ولا نستطيع هنا تجاهل ما يثيره مفهوم"شبه

البروليتاريا" من قضايا بحثية في مجال الأنثروبولوجيا الحضرية، نجملها في التساؤلات التالية:

1-هل الانتماء إلى شبه البروليتاريا يسهل عملية تكيف المهاجرين مع البناء السوسيو-اقتصادي الحضري؟

2- ما هي الطاقة الاستيعابية لقطاع شبه البروليتاريا مقارنة بالقطاع المؤجر؟

3- هل يساهم هذا القطاع في التكوين والتنمية؟

4- ما طبيعة العلاقة التي تربطه بالمجتمع الريفي؟

5- ما مدى ملاءمة النسق القيمي لأفراد هذا القطاع بالنسق القيمي الحضري؟

6- ما مدى اعتماد شبه البروليتيريا على العلاقات الأولية والقرابية؟

تؤكد المعطيات المتاحة لدينا، أن معلومات عن الفلاحين في مدن البلدان النامية قد استقيناها من الدراسات الإثنروبولوجية، الشيء الذي يدفعنا إلى القول أنه ينبغي على الأنثروبولوجية مواصلة العمل الأكاديمي ودراسة القضايا المشار إليها أعلاه (ماك غي) .

وبهذا الخصوص تشير الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بشبكة العلاقات الاجتماعية، المجاورات السكنية الحضرية، الهجرة

الريفية-الحضرية والتكيف* الذاتي للفلاحين في البيئة الحضرية إلى استمرار الثقافة الريفية والعلاقات الاجتماعية الأولية والتضامن العضوي والآلي. وتعتبر دراسة جانز GANS عن القرويين الحضريين، وساقا عن العزلة الاجتماعية لفقراء الحضر، ولومنيتز LOMNITZ عن مدينة الأكواخ، أمثلة واضحة عن تدعيم التصور السابق.

ومن ناحية أخرى، تميل الدراسات السوسيولوجية المعنية بالتحضر إلى إبراز كل من عوامل التفكك والتكامل داخل الحياة الحضرية. فثمة شواهد تؤكد أن التحضر قد أضعف العلاقات والروابط التقليدية كروابط القرابة والجيرة. بيد أن الواقع الملموس يشير إلى عكس ذلك في أغلبية البلدان النامية التي تمر بمرحلة خطيرة من تطورها الاجتماعي والاقتصادي، ألا وهي ارتباط التحضر بتقوية الانتماءات القبلية وتعايش الأنساق القيمية الريفية مع الأنساق القيمية الحضرية.

---

* تشمل دراسات التكيف على الإهتمامات الآتية:

1. الدراسات التي تنظر إلى الإستراتيجيات التي تستخدم مرونة الروابط الاجتماعية من خلال امتداد القرابة، روابط القبيلة، الروابط الإقليمية، و روابط الصداقة.

2. الدراسات التي تصف نقل النماذج التنظيمية و البنائية من المجتمع المحلي القروي إلى المدينة.

3 الدراسات التي تصف المشكلات التي تنبثق عن تكوين جماعات جديدة متماثلة و متماسكة في بيئة حضرية غير متجانسة.

بيد أن المسألة المحورية التي يجب التأكيد عليها في نهايـــة هـذه الدراسة، هي الأهمية الإنتاجية-الخدمية- الاستيعابية للقطاع الحضـــري غير الرسمي ودور الفئات شبه البروليتارية فـــي التنميـــة الحضريـــة، وارتباط أغلبية أنشطته بالمهاجرين الذين يحـــافظون علـــى ارتباطاتـــهم الريفية، ويؤسسون أخرى للتكيف مع الواقع الحضري الجديد.

وقد يكون من المفيد أن نختتم هذه المناقشة بتناول أهم التحـــولات التي اعترت الأنساق النظرية في مجـــال السيوســـيوجيا الحضريـــة، وخاصة تلك المعنية بالفئات المدينية الدنيا. فرغم أهمية ما طرحه مانجين MANGIN و ماك غي McGee ومينتز MINTZ وغيرهم، إلا انه قد ثارت من جديد في الدوائر الغربية المعنية بالدراسات الحضريـــة، مناقشـــات كثيرة حول إيجاد المدخل الملائم لدراسة فقراء وفلاحي المـــدن. وفـــي خضم هذه المراجعة النقدية للنظرية، ظهرت محاولات نظرية جديدة في أوربا تحاول تفسير ظاهرة الفلاحين وفقراء المدن وفق مجموعـــة مـــن القضايا والمفاهيم المستقاة من واقع البلدان النامية. تركز هذه المحـــاولات النظرية الجديدة على القطاع الحضري غير الرسمي* الذي شكل ركـــيزة

---

* يتسم القطاع الحضري غير الرسمي بسهولة الدخول، الإعتماد على الموارد المحليـــة، ملكيـــة العائلة للمشاريع، تعمل مؤسساته على نطاق ضيق، عمل مكثف و تكنولوجيا مكيفـــة، المـــهارات المكتسبة خارج نطاق المدرسة الرسمي، يمارس نشاطه في أسواق غير منظمة-غـــير محميـــة- غير رسمية و تنافسية، العمال غير محميين من ناحية ساعات العمـــل الحـــد الأدنـــى للأجـــور،

الحوار الأكاديمي منذ السبعينات عندما طـــرح هـــارت HART ثنائيـــة " رسمي-غير رسمي " بدلا من ثنائية " تقليدي-حديث"، ويتجلى الاختلاف بين ثنائية هارت HART و ثنائية: (تقليدي-حديث)، في أن الأولى تركـــز على تنظيم الأنشطة، بينما تهتم الثانية بالنسق التكنولوجي وتعير قليلا من العناية لبقية خصائص المؤسسة. وفضلا عن ذلك، يثير مفهوم " تقليدي " نوعا من الاستخفاف باعتباره نتاج ثقافة أجنبية تنظر إلى ما هو تقليـــدي على أنه معوق وضار لعملية التنمية، بدلا من معالجته كجزء لا يتجـــزأ من ثقافة الأمة وهويتها. أما الثنائية: "رسمي-غير رسمي" فتبدو محـــايدة ولا تقول شيئا أكثر من تســـليمها بفكـــرة لا رســـمية بعـــض الأنشـــطة

المرض، التقاعد.هذا و يرى البعض أن هذا القطاع يشكل نمطا إنتاجيا يعيش على هامش الاقتصاد الحضري و يخضع للأسلوب الإنتاجي المسيطر.

و في هذا السياق، ظهرت العديد من التيارات النظرية التي يمكن حصرها في تيارين أساسيين: أولا: التيار الثنائي- الإصلاحي الذي شاع استخدامه في مختلف المحاولات النظرية التي تنظـــر إلى المدينة على أنها نسق اجتماعي تتساند متغيراته وظيفيا، و يتكون من قطاعين يترابطان مـــع بعضهما البعض، و لكل منهما ديناميكاته الخاصة و أبعاده و متغيراته، أحدهما يمـــارس نشـــاطه بطريقة رسمية-محمية- نظامية، و الأخر يقوم بتأدية عمله بطريقة غير رسمية-غـــير محميـــة- غير منظمة. و ينظر أصحاب هذا التيار إلى الأنشطة الحضرية غير الرسمية على أنها تشـــكل نسقا اجتماعيا فرعيا يقوم بوظيفة أساسية في المجتمع. فهو أداة التغير الاقتصادي والاجتمـــاعي، والحل الملائم لمشكلة البطالة في مدن البلدان النامية.

الحضرية، علاوة عن لا رسمية علاقتها ببقية مكونات البناء الاجتماعي الحضري.

والواقع، أن هذا المدخل قد ترجم في صياغات وعبارات مختلفة، أكدت كلها قضيتين أساسيتين: الأولى، وهي أن البلدان النامية غير قادرة على استيعاب سكانها في قطاعاتها الرسمية، الأمر الذي يزيد من أهمية الأنشطة الحضرية غير الرسمية كنظام فرعي-دينامي؛ أما الثانية، فتشير إلى أن وجود هذه الأنشطة ووظيفتها يتوقف على الممارسات النظامية للدولة.

وضمن هذا المنظور، يعتقد أصحاب المدخل الثنائي-الإصلاحي أن النموGROWTH في قطاع الأنشطة غير الرسمية التي يمتهنها فلاحو الحضر والفئات المدينة الدنيا، هو نمو تطوري EVOLUTIONARY. والعلاقة بين القطاعين: "الرسمي-غير الرسمي" هي علاقة مفيدة وغير خطرة BINIGN . ولقد دعاهم هذا الموقف إلى طرح جملة من الإجراءات السياسية تتعلق بضرورة تشجيع و توسيع نطاق الأنشطة الحضرية غير الرسمية وتطوير الارتباطات بين هذين القطاعين.

أما التيار الثاني، فهو التيار الراديكالي الذي يستند أنصاره في دراستهم للأنشطة التي توجد على هوامش الاقتصاد الحضري، استنادا أساسيا إلى التنظير الماركسي حول أساليب الإنتاج وتمفصلها التبادلي، وإلى تحديد متصل CONTINUUM الإنتاجية في مدن البلدان النامية

والوصف الإمبريقي للترابطات المعقدة والعلاقات التابعة بين أنظمة الإنتاج والتوزيع.

وفي هذا الصدد، يقر أصحاب هذا التيار أن الأنشطة الحضرية غير الرسمية تشكل نمطا إنتاجيا تابعا ومستغلا يتعايش مع أنماط اقتصادية تقليدية. وستظل هذه الأنشطة على ما هي عليه، طالما أن أبنية التبعية مازالت قائمة. ونظروا إلى العلاقة بين القطاعين " الرسمي-غير الرسمي " على أنها علاقة استغلالية، والنمو في القطاع الحضري غير الرسمي " إنكماشي-لاتطوري".

وضمن هذا المنظور، يرى توكمان TOKMAN أن هذا النمو البسيط أو السلبي لا يمكن تجنبه، طالما أن الأنشطة الحضرية غير الرسمية تمثل معوقا لعملية التنمية. ولهذا يتعين على حكومات البلدان النامية أن تدرك جيدا أن وضع السياسات المختلفة لتطوير هذا القطاع لا يحل مشكلاتها بقدر ما يزيد من تعقيدها، لأن الأسباب الحقيقية للتخلف لا تكمن في نطاق القطاع غير الرسمي والاقتصاديات المتخلفة بقدر ما تكمن في عملية التراكم على مستوى البلدان المركزية.

وبناء على ما تقدم، واستنادا إلى تحليل ماك غي Mc Gee للنظام الفلاحي للإنتاج الحضري وكذلك تحليل هارت للقطاع الحضري غير الرسمي، يبدو جليا أن البديل النظري الذي ينظر إلى الكل في ضوء العلاقات المختلفة بين عناصره يتيح للدارس فهما أعمق لواقع المدينة

كجزء لا يتجزأ من نظام وطني-عالمي، و رؤية أوضح لتناول هذه العلاقات التي تحدد في الواقع تلك الظواهر التي تميز كل عنصر من عناصر الكل و تضع أسسه.

والواقع أن المشكلة لا تكمن في معرفة ما إذا كانت الأنشطة الحضرية غير الرسمية التي يمارسها الفقراء وفلاحو المدينة المنتمين للفئات الدنيا، تقدم حلا للأزمة الحضرية أو تزيد حدتها، أم أنها مجرد ظاهرة مرضية. إنها بحد ذاتها تعبير عن تناقضات البناء الاجتماعي. فلو لم يكن هذا البناء يعاني من بعض التناقض والخلل، لما ظهر في المجتمع عناصر بشرية تشغل تشغيلا منقوصا. هذا التشغيل ما هو إلا تعبير عن خلل سوء الأداء والتناقض في النظام الاجتماعي للمجتمع(قيرة 1993).

على أن القضية التي تبدو الآن أكثر أهمية وإلحاحا هي قضية العولمة وتكريس مقولة نهاية التاريخ؛ ونحن شعوب البلدان النامية تزداد أوضاعنا ترديا وابتعادا عن مقومات الحضرية، حفاظا على مواقعنا الدنيا في النظام الدولي الجديد تجسيدا لمقولة طرحها سمير أمين وهي: أن مهمشو اليوم هم مهمشو الغد من ناحية، وتجسيدا لعنوان هذه الدراسة الذي يطرح إشكالية التناقض بين التقليدية والعولمة، بين تكريس التخلف والانفتاح على بيئة متحركة تقوم على المعرفة واكتساب التكنولوجيا من ناحية أخرى، وهذا لا ينفي بطبيعة الحال خصوصيات الشعوب والأمم التي تشكل المنطلق لتشكيل غدها.

المراجع

أولا-بالعربية

1. أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقديـــة، دار المعارف، القاهرة، 1981.
2. اسماعيل سراج الدين ومحسن يوسف: الفقر والأزمة الاقتصاديـــة، مركز ابن خلدون، القاهرة، 1997.
3. السيد الحسيني: المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضـــري، دار المعارف القاهرة، 1981.
4. بوتومور: (ت. الجوهري) علم الاجتماع والنقـد الاجتمـاعي، دار المعارف القاهرة، 1981.
5. بلقاسم سلاطنية وآخرون: المجتمع العربي التحديات الراهنة وآفـاق المستقبل، منشورات جامعة قسنطينة، 2000.
6. محمود الكردي: التحضر: دراسة اجتماعية، دار العارف، القـاهرة، 1986.
7. مايكل تشوسادوفسكي: " الفقر العالمي في نهاية القرن العشـــرين"، (ت. صفاء روماني) الثقافة العالمية، ع 17، 1998.

8. عادل عازر وثروت إسحق: المهمشون بين الفئات الدنيا في القوى العاملة، المركز العربي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1987.

9. عبد الباسط عبد المعطي: توزيع الفقر في القرية المصرية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979.

10. علي الكنز وآخرون: المجتمع والدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

11. علي غربي: "العولمة وإشكالية الخصوصية الثقافية"، الباحث الاجتماعي، ع. 2، 1999.

12. صالح ياسر حسن: بعض الإشكالات المرتبطة بمفهوم الفئات الهامشية في البلدان النامية، جدل، ع. 4، 1993.

13. لاندا، ر.غ .: إيديولوجية الفئات الهامشية في المدينة الشرقية، جدل، ع. 4، 1993.

14. الجوهري، محمد وعلياء شكري، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعارف، القاهرة 1980.

15. الخفاجي، عصام وآخرون، هامشيون في المدن العربية جدل: كتاب العلوم الاجتماعية عدد 4 ، 1993.

16. ورسلي، بيتر، العوالم الثالث. الجزء الأول (ترجمة صلاح الدين محمد سعد الله) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.

17. حجازي ، أحمد مجدي: "نحو تفسير السلوك السياسي لفلاحي العالم الثالث في ضوء نظرية التبعية مع إشارة خاصة للمجتمع المصري "، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد7، دار المعارف، القاهرة ، 1980.

18. قيرة إسماعيل: "الفقراء بين التنظير والسياسة والصراع "، المستقبل العربي، عدد 241، 1999.

19. قيرة إسماعيل: "نحو رؤية جديدة لدراسة فقراء المدن "في: عصام الخفاجي (تحرير):هامشيون في المدن العربية. جدل: كتاب العلوم الاجتماعية، عدد 4 ، 1993.

20. غامري، محمد حسن: الأنثروبولوجيا الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة العين دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.

21. الحبيب الجنحاني: " ظاهرة العولمة الواقع والآفاق"، عالم الفكر، ع. 2، 1999.

22. عبد الخالق عبد الله: العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر، ع. 2، 1999.

ثانيا-بالأجنبية

1- ABEGGLEN, J.C.,The Japonèse factory, Glencoe.I.F.P.,1979

2- The nigerian geographical journal,N°07,1981

3- AKINOLA,R.N.,The industrial structure of ibadan.

4- BOHANNAN,P.J.Some principles of exchange and investment among the tiv.american anthropologist,N°57,1984.

5- DEEY,A.G.,peasant Marketing in JAVA,Glenoe,I.F.P.1982.

6- FRANKLIN,S.H.,Reflection on the peasanttry,PACIFIC VIEPOINT N°3 1986.

7- KAPLAN,D,The Mexican Marketplace then an now,AMERICAN Ethnological Society, Seattle, 1985.

8- Mc Gee,T.G,The Rural-Urban continuum debate, PACIFIC VIEPOINT,N°5,1984.

9- ----------, Hawkers inselected Asian cities, Hong Kong, C.A.S., 1970.

10- MANGIN,W,Peasants in cities, BOSTON,H.Miffin, 1970.

11- MAYER, P, TRIBESMEN or Towns men ,LONDON .O.U.P , 1971.

12- REDFIELD,R,The primive world and its Transformation, Cornell University Press, 1970.

13- WOLF,E.R, Peasants, Englewood ciffs, new Jersey , 1976.